أوبرا

زنوبيا

يسرى الأيوبي

عن مسرحية زنوبيا بقلم يسرى الأيوبي - لعام 1970

الشخصيّات

زنوبيا	ملكة تدمر
أذينة	(زوجها الراحل)
لونجينوس	فيلسوف يوناني أستاذ زنوبيا
بول ساموزاتا	يفضّل لقب جابي إمبراطوري على لقب أسقف
سيليوس	هو عمرو في الرواية العربية
زبدة	قائد في جيش زنوبيا، الأكبر سنّا والأوفر شجاعة
ظبي	قائد شاب مرح
مكاريوس	قائد من أصول يونانية
أورليان	قائد روماني، ابن فلاّح من يوغوسلافيا، وكاهنة من معبد إلـه الشمس
زيد اللات	قائد رماة أنطاكية
هرميون	وصيفة يونانية لزنوبيا
نريسا	وصيفة لزنوبيا من أصل فارسي نبيل
ماريا	مربّية أطفالها
كلوديوس	إمبراطور روما
أنطونيوس	عضو من مجلس زنوبيا العشرة
تيم اللات	عبد آبق من أصل سوري
فرموس	تاجر ورق البردي، رئيس وفد التجّار
دانيباب	قائد فرسان أنطاكية
تيبريوس	رسول روما إلى زنوبيا
الأميرة مجد	بنت زنوبيا الكبرى
الأميرة خزامى	بنت زنوبيا الصغرى
الأمير هشام	ابن زنوبيا
الأمير همّام	ابن زنوبيا

(الأميران هشام و همّام هما توأمان وأصغر من الأميرة خزامى بثلاثة أعوام)

الفصل الثاني

المشهد الأول: (زنوبيا وقائد الحرس سيليوس.)

زنوبيا يا للعار! لا أكاد أصدق أذني... ماريا!

سيليوس علي كقائد الحرس أن أقرر واقعا
بالرغم من أسفي الشديد له.

زنوبيا وا حزناه! ماريا تخونني؟

سيليوس لا أدري تماما مدى مشاركة ماريا
ولكنها هي التي أعطت أنطونيوس مفتاح القصر

زنوبيا وأطعن فيمن كنت عمياء بثقتي بهم؟
ماريا وأنطونيوس!

سيليوس لولا يقظة الحرس لاستولوا على القصر

زنوبيا ويلي! حسبت نفسي واقفة على صخرة صلدة
فإذا بي أقف على رمال متحركة!
آه روما! اشتريت حتى ضمير ماريا النقي!
وأنطونيوس؟ ما كان له عيب إلا الإيمان بالعرافين!
اختُرق مجلس العشرة للشورى حولي فبمن أستعين؟

سيليوس مولاتي، قبضت على الخونة
إنهم سجناء قصرك
وماريا سجينة في غرفتها
لتري فيهم رأيك

زنوبيا ما عندي للخونة إلا الموت!

سيليوس وماريا يا مولاتي؟

زنوبيا ليس للخونة إلا الموت!

سيليوس متى أنفّذ فيهم الأمر؟

زنوبيا قبل أن يروا الفجر!
وحين تطلع نجمة الصبح

قائد الحرس ألن تستمعي إليهم يا مولاتي؟

زنوبيا كل شيء واضح، كطلوع الشمس
ولكني سأعطيهم الفرصة!
ليدافعوا عن أنفسهم وليس في هذا بأس!

قائد الحرس من تختارين مولاتي للقضاء؟

زنوبيا زبدة وظبي ولونجينوس ومجلس العشرة الجديد!

المشهد الثاني: (ماريا وحيدة في غرفتها تبكي.)

ماريا يا لتعسي!
ويلي، ماذا فعلت بنفسي؟
ما كنت أدري ما يبيت أنطونيوس الغدار
انسقت مع عواطفي وأعطيته المفتاح
لموعد حب فإذا به يقتحم الدار
يا لتعسي!
ويلاه ماذا فعلت بنفسي؟
لقد استحققت عقابي
حين سمحت لنفسي
أن أقع ضحية وغد..
كان لملكتي العدو الألد!
(تكرر الغناء ثم ينهكها التعب، فتنام على الأريكة وقد حلّ بها النصب.)

المشهد الثالث: (قاعة العرش. زنوبيا ولونجينوس؛ تدخل الأميرتان مجد وخزامى، والأميرين الصغيرين هشام وهمام.)

زنوبيا أعلم فيم قدومكم
من الدموع تلمع في عينيكم

ومن الانكسار في هاماتكم

خزامى (باكية) لا يمكن لماريا أن تكون سيئة

زنوبيا أعلم أنكم

جميعا تحبونها

وكانت بمثابة أم لكم

وأنا أيضا كنت أعتبرها

بمثابة أخت صغرى لي

ولكن حتى لو كانت أختي

من دمي ولحمي

لا يمكن أن أعفيها من العقاب

رابطة الدم ليست أقوى من الشرف!

إنكم أبنائي بقدر ما تحملون من الشرف.

مجد أمي، نحن لا نصدق ما تُتهم به من خيانة!

زنوبيا ماذا أفعل إن كانت هي الحقيقة

لجنة القضاة كانت من أنزه الرجال

لقد اعترفت بأنها هي التي أعطت

لأنطونيوس المفتاح!

الخيانة تنال العقاب وتستحقّها

فلو نجحت لكنّا جميعا ضحاياها

مع كل الرجال البواسل والقواد الشجعان

الذين يساندونني!

ويموت بموتنا حلم الأمة أن تتحرر من الطغيان

ونخسر كلّ ما نلناه من نصر

ويصبح تحت النير شعب تدمر

(يخرج الأمراء باكين صامتين. إلى لونجينوس.)

أنظر إليهم! يظنّون أنني امرأة دون قلب!

عسير أن يتخلّص الإنسان من الرحمة بمن اعتاد أن يحب!
كانت لي أختا صغرى بل ابنة أثيرة
أسلمتها تربية أبنائي وهي مهمة عسيرة
فأية فاجعة لي أن ألوث يدي بدمها
ورغما عني أقودها إلى حتفها!
أعلم أنها حمقاء غبية، وليست شريرة شقية!
أغرقها أنطونيوس في حبه الآثم
هذا الوغد، وهو يحيي بتهذيب ناعم،
ما كنت أدري بطموحه الغاشم
وسيم شجاع ذكي متفتّح الروح بعيد الخيال
خجول كفتاة, كيف أستشفّ الغدر فيه،
وطموحه القتّال؟
كيف أُخدع بحقيقة الناس يا لونجينوس؟ كيف!
أحس بالغثيان لهذا الكشف!

لونجينوس لا تعنفي في لوم نفسك
نحن لسنا آلهة معصومين

زنوبيا قد يخطئ غيري فلا يتجاوز الضر نفسه
أما أنا، فخطئي يمتد إلى مصير أمتي وإلى عرشي
بعد انتصاري أشهد هزيمتي،
في عقر داري وفي جيشي

لونجينوس مولاتي، أنصحك أن تتخذي
من بين الرجال المخلصين حولك
زوجا يقف بجانبك ويسندك

زنوبيا كيف تنصحني بهذا يا لونجينوس؟
أضع فوق إرادتي، إرادة كفؤها دوني؟

لونجينوس لا مفر لك من هذا، لتقضي

على نوازع الطموح في صدور الرجال
العرش بحاجة إلى رجل قريك
زنوبيا ألا أملأ وحدي العرش؟
ليجد الرجال غضاضة في أنفسهم
فيتآمرون علي!
لونجينوس مولاتي، لم أشك يوما بكفاءتك
زنوبيا لماذا إذن؟
لونجينوس المرأة على العرش تواجه ما لا يواجهـه الرجـل علـى العرش،
أعباء الحكم، وكونها امرأة!
زنوبيا ماذا في كونها امرأة؟
لونجينوس الرجل يتعاون مع بني جنسه
فالصراع بينه وبين أتباعه صراع الحكم
أما المرأة الحاكمة فهي تتعاون مع جنس آخر
عبثا ينسى كونها امرأة
فالصراع بينها وبين أتباعها
يكون طموحا للعرش
وشبقا لامتلاك المرأة
زنوبيا لن يكون لرجل حي هذا
أنا التي رافقت أذينة
لا يمكن لرجل أن يرضيني بعده!
أذينة لم يكن مثل باقي الرجال
يحمل تعالي جنسه
كان لي الأب والأخ والعاشق والزوج الحبيب
نبع معرفة، قمة شجاعة، ذهن نجيب
لونجينوس أنت مولاتي فريدة في جنسك!

لتحفظي التوازن بين الرجال المحيطين بك،
عليك أن تختاري واحدا يقاسمك عرشك!

زنوبيا لا أحد منهم يصلح ليقاسمني العرش
زبدة على شجاعته ورجولته ووفائه
محدود الفكر، لا يملك الرحابة
التي تأتي من سعة الإطلاع
حكيم ذو فراسة، غير مرهف الذكاء
وظبي علي حدة ذكائه وشجاعته
صغير السن قلق العواطف، لا يملك النضوج
الكافي ليقاسمني العرش
وأنطونيوس كان ذات يوم يجذبني وقد احترق!
وماريوس بعيد عني ليحمي مجدي في مصر
أما سيليوس على إخلاصه ودهائه
لا يملك شجاعة المواجهة، ولا لياقة الهيئة

لونجينوس لن تجدي حولك من يضاهي أذينة
ولكن عليك أن تختاري واحدا لتحفظي عرشك

زنوبيا من العسير يا لونجينوس أن تكون المرأة زوجة لرجل كفؤ
ولكن الأعسر أن تكون زوجة لرجل غير كفؤ
أريد أن ألهب إرادة الرجال من أجل قضية
لا واقعا أنثويا لأحد، أحمل مشعل الحرية

لونجينوس أرى خطرا كامنا يحيط بعرشك!
وأحس أن متاعب أخرى ستواجهك
أشعر في أعماقي بخوف عليك
وأخشى إن بحت بها أن أفقد ثقتك

زنوبيا أنا لا أخشى الحقيقة فقل ما عندك
هل تخاف أن أحمل عبء الدم وحدي؟

لونجينوس نعم يا مولاتي...
زنوبيا أتظن أنهم يحاربونني لأنني امرأة؟
لونجينوس نعم يا مولاتي
زنوبيا أنت تخطئ يا لونجينوس
يحاربونني من أجل الراية التي أرفعها
أتساءل: إن كنت على حق أم أجانب الحق؟
لونجينوس بل أنت على حق
زنوبيا هل أتحدى واقعا أكبر مني بكثير
لونجينوس ليس من واقع هو اكبر من إرادة التفوق عليه!
زنوبيا هل أحمل إرادة لا يشاركني فيها كثيرون
لونجينوس كثيرون معك وكثيرون
تتضرر مصالحهم بها،
ومن يعض بالنواجذ عليها
كثيرون، نعم كثيرون!
زنوبيا مم أخاف إذن؟ عبء تحدي الظلم؟
عبء دم الخونة؟ عبء النضال؟ عبء الخطر؟
أفسدوا بضعة مني علي؟ ولكنهم لن يغرقوني بالعار!
سأقطع هذا البعض ولو كان فلذة مني
لونجينوس أخشى عليك التصدع والانهيار
إذ تقطعين وشائج متشابكة حولك
زنوبيا لن أتصدع، ولا أنهار
راية الحرية ما أختار
لن يثنيني عن عزمي
حقد ولا نار
من أجل حرية الإنسان
أتحدى كل جبار